Title in English Hadith chains of transmission from the oldest Algerian ruler (Aflah bin Abdul Wahhab Al-Rustomi, d. 258 AH)

•**اسم ولقب المؤلف الأول: بن قري كوثر Benkerri Kauther**

الدرجة العلمية والعنوان المهني:متحصلة على شهادة الدكتوراه في التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–.....

البريدالإلكتروني:.koukikouka1993@gmail.com.....

•**اسم ولقب المؤلف الثاني:بن مهية إبراهيم Benmehaia Ibrahim**

.....

الدرجة العلمية والعنوان المهني:أستاذ التعليم العالي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

.....

البريد الإلكتروني

:**.....**benmehaia.07@gmail.com

.....

ملخص:

من خلال هذا البحث سنتعرف على أقدم الأسانيد الجزائرية في علم الحديث والتي تعود إلى القرن الثالث الهجري/9م والتي رويت عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (ت258هـ)، وهذا من خلال كتاب (مسند الربيع بن حبيب)، وهو الكتاب المعتمد عند الإباضية بعد القرآن الكريم، وقد جمعه يوسف بن يعقوب الوارجلاني (ت570هـ) وألحق به في آخره روايات للإمام أفلح، ويعتبر المصدر الوحيد الذي وافانا بهذه الروايات المنسوبة للإمام أفلح ، ومما تجدر الإشارة إليه أننا إذا اعتمدنا على أهل السنة فقط فإنّ المساهمة السنية الجزائرية في الرواية الحديثية قليلة و متأخرة ، لذا فإنّ الوارجلاني فاجأنا بإلحاقه لهذا الكتاب الحديثي لتكون المساهمة في هذا المجال إباضية، ومن هنا يتبين لنا المساهمة المبكرة للجزائريين في الرواية الحديثية.

كلمات مفتاحية:رواية الحديث.،الإمام أفلح.،مسند الربيع بن حبيب.،الإباضية.،الجزائر.

Abstract:

Through this research, we will learn about the oldest Algerian chains of transmission in the science of hadith, which date back to the third century AH/9 AD, and which were narrated on the authority of Imam Aflah bin Abdul Wahhab (d. 258 AH), and this is through the book (Musnad al-Rabi bin Habib), which is the book approved by the Ibadis after the Qur'an. Al-Karim, and it was compiled by Yusuf bin Yaqoub Al-Warjilani (d. 570 AH) and at the end he aded the narattion of imam Aflah. It is considered the only source that provided us with these narrations. It is worth noting that if we rely on the Sunnis only, the Algerian Sunni contribution to the hadith narration is small. And late, so Al-Warjilani surprised us by appending this narrations that the contribution in this field would be Ibadi, and from here it becomes clear to us the early contribution of the Algerians to the hadith novel.

Keywords: narration of the Hadith;Imam Aflah;Ibadis;Algeria ;Musnad al-Rabi' bin Habib;

***المؤلف المرسل**

1. مقدمة:

لقد كرس الأئمة الرستميون حياتهم لنشر العلم في المجتمع الإباضي ،وحرصوا على القيام بذلك بأنفسهم لأنهم كانوا في طليعة العلماء، حيث كان العلم شرطا أساسيا لتولي الإمامة ،وهذا ما كان ظاهرا عند أغلب حكام الدولة الرستمية ،لاسيما الأوائل منهم،فمؤسس الدولة عبد الرحمن بن رستم (160-171هـ)كان من حملة العلم الذين أخذوا العلم بالبصرة عن شيخ الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وسار الإمام الثاني عبد الوهاب (171-208هـ)على خطى والده حيث ينسب إليه المؤرخ ابن الصغير كتابا بعنوان (مسائل جبل نفوسة) ،فقد كتبت إليه قبائل نفوسة الليبية في مسائل أُشكلت عليها ،فأجابها، وكان هذا الكتاب مشهورا ومتداولا بين الإباضية.

أمّا الإمام الثالث وهو أفلح بن عبد الوهاب الذي حكم بين عامي(208 -258هـ) فقد كان قبل توليه عرش الإمامة يعقد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه واللغة والكلام،وقد نقل الوارجلاني عن

هذا الإمام روايات في الحديث، وهذا الأخير هو ما يهمّنا في هذا الموضوع ،فمن خلال هذا البحث سنتعرف على أقدم الأسانيد الجزائرية في علم الحديث والتي تعود إلى القرن الثالث الهجري والتي رويت عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وهذا من خلال كتاب (مسند الربيع بن حبيب)، وهو الكتاب المعتمد عند الإباضية بعد القرآن الكريم، وقد جمعه يوسف بن يعقوب الوارجلاني (ت570هـ) وألحق به في آخره روايات للإمام أفلح، ويعتبر المصدر الوحيد الذي وافانا بهذه الروايات المنسوبة للإمام أفلح ، ومما تجدر الإشارة إليه أننا إذا اعتمدنا على أهل السنة فقط فإنّ المساهمة السنية الجزائرية في الرواية الحديثية قليلة متأخرة ، لذا فإنّ الوارجلاني فاجأنا بإلحاقه لهذا الكتاب الحديثي لتكون المساهمة في هذا المجال إباضية، فما مدى المساهمة المبكرة للجزائريين في الرواية الحديثية؟

2. بداية الإسناد الحديثي (السني والإباضي) في الجزائر

حينما أسدل التاريخ ستاره على آخر أحداث السيرة النبوية الطاهرة تعلّقت الآمال بمن شهد تلك الأحداث لكي ينقلها للأجيال التالية ولمن بعدها من أهل القرون الموالية ، لتقوم حجة الله على البشرية قاطبة بما تضمنته حياة صاحب الرسالة الخاتمة صلى الله عليه وسلم من تعاليم دين الإسلام الذي ارتضاه الله للناس(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)،وتمثلت التعاليم الإلهية في آيات قرآنية تتنزّل من لدن المولى عز وجل عن طريق الملك جبريل عليه السلام على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى)، فيقوم هو بتحفيظها لكل من يؤمن به من معاصريه، وهم الصحابة، وبعضهم ممن كان يعرف القراءة والكتابة انكبّ على تدوين هذه الآيات ،حتى إذا توفي النبي صلى الله عليه وسلم بادر الجميع إلى كتابتها في مصحف واحد خلال أشهر قليلة فقط لينسخوا منه عدة نسخ مضبوطة الرّسم بعد عدة سنوات،وتوزع على المدن الكبرى، لتنسخ منها نسخ أخرى ثم أخرى... مع وجود الحفظ الأصلي وهو حفظ الصدور الذي تواتر من أيام الجيل الأول لنزول القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها....هذا بالنسبة للجزء المحوري من الوحي، ألا وهو كلام الله،وبقي الجزء المكمّل لهذه التعاليم والمتمثّل في الشروحات النبوية(القولية والفعلية) وهي بنص القرآن معصومة فهي حتما جزء من هذا الدين المحفوظ حفظا إلهيا (إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون).

ومن المعلوم تاريخيا أنّ تلامذة مدرسة النبوة قد انطلقوا مشرقين ومغربين لنشر تعاليم هذا الدين في كل الأقطار التي فتحوها ،وأخذها عنهم جيل من التابعين في القرن الأول الهجري، وكانت الأحاديث النبوية تُتَداول بينهم شفاهة مع قليل من التدوين ،دونما تأليف للكتب –وأمّا الآيات القرآنية فهي متواترة

لا محالة- إلى جانب نسخ المصاحف كما ذكرنا آنفا، وهو ما لم يتأتّ للسنة النبوية، إلى أن بدأت علامات انقراض عصر الصحابة في نهاية ذلك القرن، فاضطر الخليفة الأموي الراشد-وهو التابعي عمر بن عبد العزيز- إلى المطالبة ببدء جمع الأحاديث المبثوثة في السطور والصدور وتدوينها في كتب خاصة بها، وهو الأمر الذي تكفّل به كبار التابعين وتابعو التابعين في بداية القرن الثاني الهجري[1].

وفي هذه الأجواء-بل وقبلها بقليل-كان لابدّ أن يظهر بين المهتمين بنقل الأحاديث النبوية شيء هام وضروري ومحوري اسمه(**الإسناد**) **أو** (**السند**) يوثق لكل الأجيال القادمة عملية انتقال الحديث النبوي من الصحابي إلى التابعي وانتقاله من هذا التابعي إلى متأخري التابعي، إلى من بعدهم من الرواة، إلى مؤلف الكتاب الأول أو المدون الرئيسي للسنة قبل موطأ الإمام مالك عند أوائل أهل السنة وجامع الربيع بن حبيب عند أوائل الإباضية ومسند زيد بن علي زين العابدين عند الشيعة الزيدية...والسبب الرئيسي في اشتراط(السند) قبل النطق بالحديث النبوي هو انتشار الكذب وتفشي ظاهرة وضع الأحاديث بعد الفتنة الكبرى عند تأسيس الخلافة الأموية، أي في وقت مبكر من تاريخ صدر الإسلام، قال التابعي محمد بن سيرين (110هـ):« لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم....[2]»،ولا داعي الآن في هذا المقام إلى الخوض في غمار ذلك التيار الهادر من المشتغلين بالرواية الحديثية التي انطلقت في نهاية القرن الأول الهجري واتضحت معالمها شيئا فشيئا في نهاية القرن الثاني ،ولكن التساؤل الذي نودّ الإجابة عنه هنا هو:ما مدى مشاركة أهل المغرب الأوسط في هذه العملية التأسيسية للسنة النبوية قبل ازدهارها وانتشارها؟

والحقيقة أنّ الإجابة الأولية الظاهرة للعيان تكاد توحي بعدم وجود مشاركة واضحة لأهل المغرب الأوسط قبل القرن الثالث الهجري، والسبب في ذلك هو عدم وضوح معالم حدودية لإقليم المغرب الأوسط، وكذلك عدم اشتهار قبائل تختص بهذا الإقليم ،وعدم اشتهار النسبة إلى حواضره القديمة في التراث الحديثي المبكر، وهو تراث مشرقي لا يضبط أصحابه الانتساب إلى ما وراء بلاد، مصر إلاّ بكلمات عامة كالبربري والإفريقي والمغربي والأندلسي...

إنّ الحاجة الماسّة للأسانيد الحديثية لم تكن قد ظهرت في عصر صحابة ما بعد النبوة (أي العصر الراشدي)، بل إنّها طفت على سطح الساحة العلمية بعد أحداث الفتنة الكبرى، أي بعد عام الجماعة

[1] مصطفى السباعي،السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، 1978م،ص103-107.

[2] ، المرجع نفسه ،ص90.أنظر أيضا: محي الدين ديب مستو، مناهج التأليف في السيرة النبوية، 2000م،ص 159.

41هـ مع تأسيس ملك بني أمية، ذلك الملك الذي أريد تكريسه في واقع الأمة وترسيخه في وجدانها بعد أقل من عقدين من الزمن (حوالي 60سنة)، فكانت الهزة الارتدادية الأولى متمثلة في فتنة أخرى شهدتها فترة حكم يزيد بن معاوية وسنوات الاضطراب السياسي التي أعقبتها، ليستقر ملك بني مروان الأموي في الربع الأخير من القرن الأول وكذلك الربع الأول من القرن الموالي،ولم يصلح من ملوكهم إلاّ عمر بن عبد العزيز بن مروان الذي شعر بما شعر به التّابعون الأولون ،فقد شعر على رأس القرن الثاني للهجرة بأن عصر الصحابة قد آل إلى الانقراض الطبيعي،ولا بدّ لتابعيهم أن يحرصوا على السنة النبوية لكي تنتقل من صدور تلامذة الصحابة إلى تلامذة هؤلاء من تابعي التابعين ، وحينما يأتي دور تأليف الكتب الذي سينشط بعد عام التدوين 143هـ، ستكون الأحاديث كلها قد أخذت طريقها إلى بطون المؤلفات الأولى،لتنهل منها الأجيال التالية، وتأخذ تفاصيل دينها بعد كلام الله عزّ وجلّ شروحا نبوية واضحة الأسانيد، لأنّ (**الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء**).

وهكذا تبين لنا أنّ إظهار السند كان مطلوبا بعد الفتنة الكبرى ،واشتدّ الطلب عليه بعد الفتنة الثانية، ثمّ انتهى إدلاء مجموع رواة الصحابة بشهاداتهم عن عصر النبوة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز 99-101هـ، فأمر بتدوين ما هو متداول شفاها، وتجميع ما هو مدون كتابة ،لتظهر في القرن الثاني المؤلفات الحديثية الأولى بأسانيدها الدقيقة .

هذا ولئن كانت مشاركة أهل المغرب والأندلس في الأسانيد لا تتضح للعيان إلاّ مع القرن الثالث الهجري حيث كانت العملية الإسنادية عند المشارقة في ذروتها قائمة على قدم وساق ، فإنّ المساهمة المبكرة للمغاربة عموما يمكن البحث عنها في القرن الثاني –وإن قلّت– ويزداد البحث صعوبة إذا ما بحثنا عنها في النصف الثاني من القرن الأول ،هذا النصف الذي اعتبرناه آنفا منطلق العملية الإسنادية ذاتها.

أمّا إذا تساءلنا عن مساهمة أهل المغرب الأوسط بالذات في رواية الأحاديث النبوية وتمحيص أسانيدها في نهاية القرن الأوّل وكامل القرن الثاني فإنّ البحث يزداد صعوبة بشكل كبير، وذلك لعدّة أسباب أهمها :

- عدم وضوح معالم المغرب الأوسط وحدوده الشرقية مع المغرب الأدنى وحدوده الغربية مع المغرب الأقصى.
- عدم وضوح الانتماءات القبلية للرواة الذين ينسبون إلى القبائل البربرية ،فأكثرها قد لا يستقر بإقليم واحد،أو قد تكون القبيلة موزعة بين الأقاليم ...

♦عدم الانتماء المبكر لحواضر المغرب الأوسط ،لأنها لم تظهر بعد أو لم تشتهر ،وهو كذلك حال المغرب الأقصى يومئذ، عكس المغرب الأدنى الذي كان يزخر بالمدن المعروفة مشرقيا سواء القديمة منها (كطرابلس وتونس)أو الجديدة (كالقيروان)..

♦عدم وضوح مغربية الشخصيات الأولى التي كانت تأتي من المشرق وتستقر بالمغرب من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين.

وإذا أردنا الغوص والتنقيب عن مشاركة أهل المغرب الأوسط في إثراء الرواية الحديثية المبكرة،وجب علينا لزاما أن نوسّع دوائر المفاهيم الآتية:

•مفهوم المغرب الأوسط حيث نعتبر مجاله يبتدئ مع انتهاء حدود (إفريقية القديمة)أو(تونس لحالية)لأنها قلب المغرب الأدنى فنبدأ مع بونة شمالا،ووارجلان جنوبا،وما وراء تلمسان إلى نهر ملوية غربا.

•مفهوم أهل المغرب لأن المتبادر إلى الذهن عند الحديث عن العصور الإسلامية الأولى (قبل حكم الموحدين ق6هـ) هو أنّ كلمة (أهل المغرب) ترادف كلمة (البربر) كعنصر سكاني في الأغلب الأعم، وذلك أمر واقع حيث أنّ عملية أسلمة السكان بعد الفتح –أو بالأحرى دخولهم في دين الله أفواجا–كانت تسير عبر الأجيال بوتيرة متسارعة ،بل ومتسارعة جدّا،عكس عملية التعريب التي سارت ببطء ،وربما تتسارع قليلا في الجانب الإداري ،وتتباطأ كثيرا في الجانب الديمغرافي.

•مفهوم المساهمة في نشر الرواية الحديثية، فالعادة جرت أن يقتصر في ذلك على العملية الإسنادية البحتة، لكنّنا مضطرون إزاء شح المادة المصدرية إلى توسيع معنى هذه المساهمات لتشمل كل ما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بنشر السنة النبوية ولو من خارج دائرة أهل السنة من معتزلة و إباضية.

•مفهوم الإسناد الحديثي من معناه العلمي الدقيق(حدّثنا فلان عن فلان عن التابعي عن الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم)إلى معاني السند المتنوعة كالمتصل والمنقطع والمرسل والبلاغات ..

وبناء على هذه المعايير المتساهلة ،سنجد أنفسنا أمام مجموعات كثيرة من المساهمين في نقل السنة النبوية من أهل المغرب عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، ذلك أننا سنستبعد كل اسم تبيّن لنا أنه من أهل الأندلس أو من أهل إفريقية(أي تونس والقيروان) أو (برقة وطرابلس) ، فمن ذكر باسم البربري أو المغربي فهو في غالب الظن من سائر المغرب (أي الأوسط والأقصى)،ونظرا للقرب الجغرافي من المركز الذي هو القيروان فإنّ المغرب الأوسط هو الرّاجح في هذه الحالة.

1.2 أنواع حملة الدين الإسلامي إلى بلدان المغرب

في البداية يمكننا المجازفة بالقول أن بعض جيوش الفتوحات الكبرى بين عامي23-85هـ قد نالت بشكل أو بآخر شرف الارتباط بالبلدان المغربية والعكس كذلك، وخاصة من استشهد بها أو توفي ودفن بها في تلكم الفترات، أو على الأقل من مكث بها من عمره سنينا عديدة ، ثم نجد بالضرورة من تفاعل مع هذه الحملات من السكان البربر وأسلم ودعا قومه إلى الدين الجديد، وأمثال هؤلاء –وإن لم يذكرهم التاريخ- إلا أن الإشارات إليهم كانت تطفو على السطح بين الفينة والأخرى، بل إن أمرهم متوقع بالضرورة، حتى أن نجاح تلك الحملات كان متوقفا على تزايد أعدادهم بين المسلمين ،فهذه الكاهنة –وهي تقود آخر مقاومة بربرية ضد المسلمين – تأمر ابنيها بالانضمام لجيوش عدوّها حسان بن النعمان و تنتحر هي، لتسدل الستار عن تلكم المقاومات اليائسة وتترك المجال لجيل جديد يتفهم المتغيرات الحاصلة وينخرط فيها بفعالية ، فهذا القائد البربري طارق بن زياد- بعيد استقرار الفتح –سيفتح بدوره بلاد الأندلس ومعه الآلاف المؤلفة من هؤلاء السكان المحليين.

هذا ويمكن القول أيضا أن القائد عقبة بن نافع الذي استشهد قرب مدينة بسكرة كان صحابيا بالمعنى العام للصحبة، واستشهد معه زميله أبو المهاجر دينار –أحد التابعين – ومعهم ثلاثمائة من جنودهم الذين-وإن لم يدون لنا التاريخ أسماءهم- إلاّ أننا على يقين أنهم من جيل التابعين ،وقد يكون بينهم بعض الصحابة المغمورين ،وكلهم أصبحوا من أبناء المنطقة التي حرصوا على نقل الدين إليها فترسخ انتماؤهم لها بدفنهم في تربتها...

ولقد سجل التاريخ لنا أسماء أفراد قلائل من الصحابة تجاوزوا إفريقية إلى سائر المغرب مثل رويفع بن ثابت الأنصاري وزياد بن حارث الصدائي وبسر بن أبي أرطأة العامري القرشي وشريك بن سمي المرادي وسفيان بن وهب الخولاني والمنيذر الأسلمي رضي الله عنهم...وأما قدماء التابعين فيمكن أن نذكر منهم أبا ليلى دخين بن عامر الحجري (100هـ) والقائد العسكري حسان بن النعمان وأبا قبيل حيي بن هانئ المعافري المصري ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري والمغيرة بن أبي بردة الكناني وأبا رشدين حنش الصنعاني (100هـ) وعمارة بن غراب التجيبي وابني عقبة أباعبيدة مرة (107هـ) وأبا يحي عياض(100هـ) وهما اللذان أوصاهما أبوهما عقبة «**بأن لا يأخذا دينهما إلا عن ثقة**» ويمكننا اعتبار هذه الجملة من عقبة إشارة انطلاق لتأسيس علم الحديث.

ومع مطلع القرن الثاني للهجرة، نجد مجموعة أخرى من التابعين الذين بعث بهم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز لنشر وترسيخ تعاليم الإسلام بين سكان إفريقية والمغرب ،ولكن ولاة بني أمية بعد ذلك أساءوا السيرة في رعاياهم، فلم يتحمل البربر هذا الجور ،وقد حاول العقلاء تنبيه الولاة –وحتى الخلافة– لتدارك الأمر دون جدوى ، فكانت ثورة البربر العارمة والشهيرة سنة122هـ وقد عمّت كامل أقطار المغرب من طرابلس إلى طنجة، وأنهكت الخلافة الأموية المنشغلة بثورات مشرقية أخرى فسقطت سنة132هـ لتحل محلها الخلافة العباسية ،التي لم تتمكن من فرض سيطرتها إلا على المغرب الأدنى [البلاد التونسية الحالية ومعها شرقا السواحل الليبية فقط وبعض الشرق الجزائري غربا] وذلك مع انتصاف القرن الثاني، أما بقية المغرب الأوسط وما وراءه من المغرب الأقصى كله فتقاسمته إمارات للخوارج كتيهرت الإباضية ،مع إمارات علوية كأدارسة فاس... ثم اضطر الخليفة العباسي هارون الرشيد من بغداد إلى تسليم المغرب الأدنى لأسرة تحكمه بشكل شبه مستقل فيما يعرف بدولة بني الأغلب[الأغالبة] وذلك سنة184هـ ،أي بعد قرن كامل من استكمال الفاتح حسان بن النعمان الغساني لعملية فتح المغربين الأوسط والأقصى...وهنا نود العودة إلى الوراء لاستعراض بعض الحملات أو الوفود أو الدعاة إلى الإسلام لبيان استمرارية تدفق الحاملين لهذا الدين الجديد [قرآنا وسنة وفقها وممارسة] جيلا بعد جيل في أوساط السكان البربر، بل وانضواء هؤلاء تحت لواء الدعوة لفهم الإسلام وحسن تطبيقه، سواء باسم السلطة الأموية–خصوصا إذا كانت عادلة كعمر بن عبد العزيز–أو باسم المعارضة–خصوصا إذا كانت معتدلة كالإباضية[3]–..وشيئا فشيئا سنجد أنفسنا قد وصلنا إلى العصر الذي عاشه الحاكم الإباضي الإمام أفلح بن عبد الوهاب في عاصمته تيهرت منذ بداية القرن الثالث الهجري إلى منتصفه، حيث مارس الحكم السياسي والفتوى الدينية جنبا إلى جنب لمدة نصف قرن ...وإذن، فقبل التطرق إلى هذا العالم والحاكم في آن واحد، وجب علينا أن نعرج– ولو بشكل استعراضي سريع– لكل الذين ارتبطت أسماؤهم بنشر الدين الإسلامي قبل الإمام أفلح.

2.2 مساهمة المشارقة والمغاربة في نشر الإسلام وترسيخه بالمغرب الأوسط خلال القرنين1و2هـ

إذا كان جيش عمرو بن العاص أثناء الفتوح الأولى قد فتح ليبيا الحالية سنة 23هـ أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فإن الجنوب التونسي قد فتحه والي مصر في عهد عثمان وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 27هـ ،وكانت معه من الصحابة والتابعين أعداد غفيرة، ومنهم العبادلة من الصحابة

[3] لحسن بن علجية،إرشاد الحائر إلى من دخل من الصحابة والتابعين بلد الجزائر ،2015، ص21-74.

حتى أن هذه الحملة إنما سميت بهم ، وانهزم الروم البيزنطيون أمامهم في معركة [سبيطلة] قرب قفصة، وكان السكان البربر يتابعون ما يحدث على أرضهم ، ويبدو أن بعض الكتائب الإستطلاعية قد توغلت داخل المغرب الأوسط، حيث ذكر أحد الصحابة- وهو ربيعة بن عباد رضي الله عنه- بأنه قد شارك في تلك الطلائع، بينما أكد المؤرخ ابن خلدون أنه قد جرت بعض الزحوف والقتل والأسر، و ذكر ممن وقع في الأسر أحد أمراء البربر و يدعى صولات بن وزمار المغراوي، وفي رواية أخرى أن هذا الأمير إنما جاء وافدا إلى المسلمين ليمثل قبائل زناتة، وأجمعت الروايات أنه وصل إلى العاصمة المدينة المنورة وأسلم على يد الخليفة عثمان، وأن هذا الأخير عقد له على قومه.

وتتواصل الفتوحات في مد وجزر تحت راية الخلافة الأموية لعدة عقود إلى ما قبل نهاية القرن الأول الهجري ،ونسمع عن حملات كبرى لجيوش يشارك فيها بعض متأخري الصحابة وكثير من التابعين، ولو لم نعرف أسماء أغلبهم، في الوقت الذي يتخلص فيه السكان البربر تدريجيا من ترددهم ومن مقاومتهم لتلك الجيوش ، وشيئا فشيئا ينضم الجميع لهذا الدين ويتخلصون من نير الاحتلال البيزنطي، وسيظهر منهم جيل مسلم سوف يشارك بعد سنة (90هـ) في فتح الأندلس بقيادة الشاب البربري طارق بن زياد ، وتأتي خلافة عمر بن عبد العزيز في المشرق ليتفيأ المغاربة كلهم ظلال الخلافة الراشدة مع مطلع القرن الثاني سنة (100 هـ)، فاحتضنوا الدعاة الذين أرسلتهم العاصمة دمشق إلى إفريقية والمغرب،منهم أبوثمامة بكر بن سوادة الجذامي (128هـ) وأبو سعيد ابن عاهان وإسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر المخزومي (132هـ) الذي أسلم على يديه خلق كثير من البربر...ويمكن أن نضيف إلى بعثة عمر بن عبد العزيز هذه تابعيا شهيرا هو عكرمة البربري (104هـ) تلميذ الصحابي ابن عباس،وأيضا خالد بن أبي عمران التجيبي (127هـ) وهو أستاذ علي بن زياد التونسي (183هـ) ، وهذا الأخير هو تلميذ الإمام مالك، بل هو أول من نقل موطأه إلى البلدان المغربية كلها، بل هو أول رواية ظهرت للموطأ على وجه الأرض...وإذا أردنا أن نتتبع أسماء حملة الحديث عموما- والموطأ خصوصا -فسنجد عشرات الأسماء ، حيث ذكر الحافظ الخشني (ت361هـ) أن عدد تلامذة مالك من الأفارقة والمغاربة يزيد على الثلاثين...ويمكن أن نضيف إليهم أسماء أخرى لأقدم محدثي الأندلس ممن ثبت لهم الاستقرار مطولا ببلاد المغرب، مثل عبدالله بن فروخ الفارسي المولود بالأندلس سنة (115هـ) والمتوفي بمصر سنة (176هـ)،سكن القيروان ثم رحل إلى المشرق وعاد إلى افريقية قاضيا مدة طويلة، وقال عنه الامام مالك هذا فقيه أهل المغرب...وكذلك فعل زميله أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي ،وهو من سوس المغرب الأقصى ،ويمكن أن نضيف إليهما أبا

زكريا يحي بن عبد السلام بن أبي ثعلبة التيمي الذي ولد سنة (124هـ) واستقر بالقيروان زمنا طويلا ،وتوفي بمصر سنة (200هـ)، ودفن بجوار ابن فروخ ،وكان يقول " أحصيت بقلبي من لقيت من العلماء فعددت ثلاثمائة وثلاثة وستين عالما، سوى التابعين وهم أربعة وعشرون ،وامرأة تحدث عن عائشة رضي الله عنها"[4].

ولا ننس هنا الإمام الإباضي الثائر أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (144هـ) وهو من نقلة الأحاديث، وكان معه خمسة من طلبة العلم، بعضهم من البربر كأبي عاصم السدراتي، وأحدهم من أصل فارسي هو عبد الرحمن بن رستم مؤسس دولة الإباضية ، وقد ورثه في العلم والحلم والحكم ابنه عبد الوهاب، وورث هذا الأخير بدوره في تلك الأمور كلها ابنه الإمام أفلح.

3. شخصية الإمام أفلح بن عبد الوهاب

لا يمكننا الاكتفاء بالقول أنّ الإمام أفلح هو أحد أقدم المساهمين في الرواية الحديثية خارج الدائرتين المشرقية والسنية –وإن كان ذلك هو موضوع حديثنا–لكننا نستدرك بالقول بأنّ شهرته طيقت الآفاق بممارسته السلطة أوّلا،على غير عادة المحدثين،وبحرصه على العدل في الحكم ثانيا،وباجتهاده في إطار المذهب الإباضي ثالثا،وبطول مدّة حكمه رابعا وأخيرا.

وقبل أن ندرس أحاديثه التي رواها وجب علينا التعريف به تعريفا موجزا فنقول :هو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، ثالث الأئمة الرستميين، بويع بالإمامة في اليوم الذي مات فيه أبوه[5]،وقد وصفه الشماخي بقوله :ا«لإمام التقي العدل السمي العالم الأنجح أمير المؤمنين أفلح بن عبد الوهاب الذي تمسك بالحجة البيضاء والصراط الأفيح [6]»،عرف بنبوغه في العلم منذ صغره، حيث كان يقعد بين يديه أربع حلق يتعلمون منه فنون العلم من فقه وأصول ونحو وغيرها، وقد كانت له أجوبة في الفقه والأصول والأحكام[7]، عرفت فترة حكمه بالثراء والازدهار فقد:«عمر في إمارته ما لم يعمر أحد ممن كان قبله....وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد...وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال

[4] بشير ضيف،المدخل إلى موطأ الإمام مالك، ، 2012م،ص160-179.

[5] أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ،سير الأئمة وأخبارهم،تح:إسماعيل العربي، 1402هـ/1982م، ص127-128.

[6] الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد،كتاب السير ،تح:أحمد بن سعود السيابي، 1412هـ/1992م،ج1 ،ص166.

[7] نفسه،ص 166.

والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والأفاق بأنواع التجارات...[8]» ،دامت فترة حكمه خمسين سنة،وتوفي سنة 258 بعد أن اشتدّ به الحزن على ولده أبو اليقظان الذي كان سجينا في بغداد[9] .

4. الكتاب الحديثي للإمام أفلح ضمن كتاب الربيع :دراسة في أحاديث الإمام أفلح من كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

1.4 التعريف بالإمام الربيع

هو الإمام أبو عمرو الربيع بن حبيب الأزدي العماني البصري[10]،ولد سنة 80هـ أو قبلها بقليل في منطقة الباطنة من عمان، وهناك من قال في ودام ومنهم من قال غضفان[11].

وبالنسبة لشيوخه فقد قال الإمام الربيع عن نفسه :«إنما حفظت الفقه عن ثلاثة،عن أبي عبيدة،وأبي نوح وضمام[12]».

أمّا في ما يخص الإمام الربيع وباعه في العلم فقد وصفه الدرجيني بقوله:« طود المذهب الأشم ،وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمات الخطب الأصم ،ومن تشد إليه حبال الرواحل وتزم.[13]».

2.4 التعريف بمسند الإمام الربيع

هو كتاب أفرده صاحبه لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم[14]،وهو معتمد الإباضية الأول في الحديث،صنّفه الربيع بن حبيب في القرن الثاني من الهجرة،[15]ولم يخلط الإمام الربيع شيئا من هذه الأحاديث بأقوال الصحابة أو التابعين إلاّ في أحيان قليلة، فنجده يذكر قولا لصحابي أو تابعي وذلك لارتباطه بالحديث الذي سبقه[16]،وفي القرن السادس الهجري قام العلامة يوسف بن إبراهيم يالورجلاني

---

[8] ابن الصغير ،أخبار الأئمة الرستميين، تح وتع:محمد نصر و إبراهيم بحاز ، 1986،ص53

[9] نفسه، ص59-61.

[10] الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم،كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم،تص وتع:نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ،1424هـ/2003م، ص5.

[11] صالح بن أحمد بن سيف البوسعيدي،رواية الحديث عند الإباضية (دراسة مقارنة)، 1420هـ/2000م،ص49-50.

[12] الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب،تح: إبراهيم طلاي،ج2 ،ص276.

[13] نفسه، ج2، ص273.

[14] صالح البوسعيدي، المرجع السابق،ص42.

[15] الورجلاني، المصدر السابق،ص5.

[16] صالح البوسعيدي، المرجع السابق،ص42.

بترتيب هذا المسند على أبواب الفقه بعدما كان مرتبا على أسماء الرواة،وسمّاه "**الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب**"، وقسمه إلى أربعة أجزاء، حيث جعل الأحاديث في جزأين،أمّا الجزء الثالث فجعله لآثار الربيع في مسائل الاعتقاد،وفي ما يخص الجزء الرابع فقد ضمّ فيه بعض الروايات بما فيها روايات الإمام أفلح عن أبي غانم وغيره[17].

3.4 دراسة أحاديث الإمام أفلح

اشتمل كتاب الربيع ابن حبيب على عدد من أحاديث الإمام أفلح ممّا ألحقه به الورجلاني، وقد تنوعت مواضيع هذه الأحاديث والتي قمنا بتصنيفها بحسب أرقامها كالآتي :

رقم الحديث	الموضوع		رقم الصفحة
902و 903	الغنيمة		260،259
904	الزنى		260
905و906	العلم		
907و908و909و910	الصلاة	القنوت في الصلاة	261،260
911		تنويع سور القرآن في الصلاة	263،262
912و913		رفع الأيدي في الصلاة	
914و915و916و917		القصر في الصلاة	263
918و919	الصيام		264،263
920و921و922	وقت النحر في عيد الأضحى		264
923	الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم		

[17] الورجلاني، المصدر السابق ،ص6.

وعلى العموم فإنّ هذه الأحاديث قد وردت عند أفلح بأسانيد، بعضها مشتمل على رواة مذكورين (منهم المعروفون ومنهم المجهولون عند أهل السنة)،وبعض أسانيد أفلح قد لا تشتمل إلاّ على راو واحد كالصحابي أو التابعي ، وقد لا تشتمل على اسم راو أصلا ،بل إنّه يرفعها مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، وهذا ما يوضّحه الجدول التالي:

رقم الحديث	صيغة الإسناد
902	...عن كتاب أخذه عن أبي غانم الخراساني من تأليف أبي يزيد الخوارزمي في السير رفع فيه أبو يزيد الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
903	عن أبي يزيد الخوارزمي
904	روى الإمام أفلح حديثا رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
905	قال الإمام ممّا يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم
906	وممّا يؤثر عنه عليه السلام
907	وعن الإمام مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من طريق جابر بن زيد
908	أخبرني محمد بن الحسن عن محمد بن إبان بن صالح القرشي عن حماد ابن إبراهيم عن علقمة والأسود بن يزيد قالا
909	عن الإمام عن محمد بن الحسن عن هشام ابن عبد الله الدستوائي عن قتادة عن أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.....
910	عن أبي غانم الخراساني عن حاتم بن منصور قال حدثني من لا أتهم قوله من أصحابنا عن أبي أهيف الحضرمي فقيه أهل مصر عن ابن عمر أنّه قال كان في الزمان الذي كان فيه أقرب إسنادا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غيره،قال حاتم بن منصور
911	بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
912	قال الإمام وعند أصحابنا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنّه.....رواه عن أبي غانم الخراساني عن حاتم ابن منصور عن أبي يزيد الخوارزمي عمن حدثه عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
913	عن أبي غانم الخراساني عن حاتم بن منصور عن أبي يزيد الخوارزمي عن مجاهد

	أو عمن حدثه عن مجاهد (شك في ذلك أبو غانم)عن ابن عمر....فإني سمعت رسول الله يقول
914	عن عمر بن عمير عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم
915	عن أبي ثور أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
916	عن الحسن بن أبي الحسن البصري قال
917	الإمام قال :قال أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
918	الإمام قال في الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم
919	الإمام قال جاء حديث مشهور مستفاض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
920	لم يورد أي صيغة للإسناد
921	ذكر عامة من الفقهاء
922	بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
923	رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا بالنسبة لأسانيد الأحاديث التي عند الإمام أفلح،أمّا ورودها عند أهل السنة فنجده مختلف قليلا، سواء بالنسبة للإسناد، أو إذا تعلق الأمر بمتن الحديث ،وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ عدد الأحاديث التي رواها أفلح هو22حديثا،إلاّ أنّه وبعد مقارنتنا بما ورد في كتب الحديث عند أهل السنة وجدنا أنّ عشرة أحاديث ممّا رواه أفلح ورد في هذا التراث السني بحسب ما يوضّحه الجدول التالي:

رقم الحديث	صيغته في رواية الإمام أفلح	صيغته في كتب أهل السنة
904	«المسلمون يد،يردّ بعضهم على بعض»	« المسلمون يردّ بعضهم على بعض»
905	«إنّ أعلم الناس الذي يزداد من علم الناس إلى علمه ويستفيد علما لم يكن يعلمه»	«قيل للقمان أي الناس أعلم قال:الذي يزداد من علم الناس إلى علمه»
906	«رُبَّ حامل علم ليس بعالم وربّ حامل علم إلى من هو أعلم منه»	«نضر الله امرأ سمع منّا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره،فإنّه ربّ حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه»
908	« لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في	« لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

	صلاة الصبح حتى مات إلاّ إذا كان حارب المشركين فإنّه كان يقنت في الصلاة ويدعو عليهم»	في الفجر إلاّ شهرا، حارب حيّا من المشركين فقنت يدعو عليهم»
909	«إنّما كان يقنت شهرا بعد الركوع الآخر يدعو على حي من أحياء العرب ثم تركه ولم يقنت قبله ولا بعده»	«قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا بعد الركوع ،يدعو على أحياء من العرب»
911	...فقال يا رسول الله إنّي أحبّ قل هو الله أحد حبّا شديدا فسكت رسول الله ثمّ التفت إلى الرجل فقال:«إنّ الله يحبك لحُبِّك قل هو الله أحد»	...أنّ رجلا قال:يا رسول الله إني أحبّ«قل هو الله أحد»فقال النبي صلى الله عليه وسلّم«حبّك إياها أدخلك الجنّة»
915	...أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة	«أقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة»
919	«أخوف ما أخاف على أمّتي الشهوة الخفية»قلنا يا رسول الله وما الشهوة الخفية قال:«يصبح أحدكم صائما فتعرض له شهوة فيواقعها فيدع صومه»	«أمر أتخوّفه على أمّتي من بعدي»،قلت وما هو؟ قال:الشرك وشهوة الخفية يصبح أحدكم صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر»
921	أنّ رجلا من الأنصار ذبح قبل أن يصلي النبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «شاتك شاة لحم»	....عن البراء ابن عاوي قال :ضحى خال لي يقال له أبو بردة قبل الصلاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «:شاتك شاة لحم»
922	«أوّل ما نبدأ به يومنا هذا أن نصلّي ثمّ ننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتي ومن ذبح قبل الصلاة فإنّها شاة لحم وليست من النسك في شيء»	«إنّ أوّل ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلّي ثمّ نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن نحر قبل الصلاة فإنّما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء»

5.4 تعريف ببعض الرواة الواردة أسماؤهم في أسانيد الإمام أفلح:

–أبو غانم الخراساني:هو أبو غانم بشر بن غانم الخراساني[18]، ويبدو من نسبته أنه من خراسان، يقول الدرجيني:«خرج من المشرق متجها إلى المغرب ليفد على الإمام عبد الوهاب رضي الله عنه ومعه مدونته المشهورة التي رواها عن تلامذة أبي عبيدة رحمه الله، وقيد سماعا عنهم ...[19]» ويروي الدرجيني أنّ أحد رجال العلم يدعى عمروس طلب من أبي غانم نسخ الكتاب فرفض لكن عمروس أخذه خلسة ونسخه وحسب الدرجيني أنّه لولا هذه النسخة التي كتبها عمروس لما بقي لأهل المذهب بجهات المغرب ديوان يعتمد عليه بعدما لحق تاهرت من حرق وغصب[20] .

وقد أخذ الإمام أبي غانم العلم عن عدد من الشيوخ ذكرهم في مدونته نذكر منهم من ورد ذكرهم في أسانيد أفلح وهم:أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة،حاتم بن منصور .

2–أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء،كان باعا في شتى العلوم لاسيما رواية الحديث التي رتبها وأحكمها، ،انتفع به خلق كثير منهم حملة العلم الخمسة الذين نشروا العلم في المشرق والمغرب[21].

اشتهر بتواضعه وزهده في الدنيا[22]،قال عنه العلامة الدرجيني «كبير تلامذة جابر وممن حسنت أخباره والمخابر ...حافظ في خفية على الدين حتى ظهر على يد الخمسة الميامين...وحملهم العلوم وما شفى الله به من الكلوم[23]».

3–حاتم بن منصور: هو أبو منصور حاتم بن منصور الخراساني من فقهاء القرن الثاني الهجري، وهو تلميذ أبي عبيدة[24].

خاتمة

---

[18] الدرجيني ،المصدر السابق،ج2،ص 323.

[19] المصدر نفسه، ص323.

[20] نفسه، ص 323.

[21] الشماخي ، المصدر السابق،،ج1،ص78.

[22] الدرجيني ،المصدر السابق،ج2،ص238.

[23] نفسه،ج2،ص238.

[24] صالح البوسعيدي،المرجع السابق،ص94.

وهكذا يتبين لنا في الأخير أنّ بلاد المغرب عامة–والمغرب الأوسط خاصة–هي بلاد تفاعل أبناء القرون الأولى منها مع حملة دين الإسلام مع الزعيم الزناتي صولا بن وزمار المغراوي إلى الروايات الحديثية المدونة في مسند الربيع الإباضي للإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب

5. قائمة المراجع:

السباعي مصطفى ،(1978م)،السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،المكتب الإسلامي،دمشق.

مستو محي الدين ديب ، (2000م)مناهج التأليف في السيرة النبوية،دار الكلم الطيب، دمشق.

بن علجية لحسن ، (2015)،إرشاد الحائر إلى من دخل من الصحابة والتابعين بلد الجزائر،دار الهدى ، الجزائر.

ضيف بشير، (2012)،المدخل إلى موطأ الإمام مالك،دار ابن حزم ، بيروت.

أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ،(1982)،سير الأئمة وأخبارهم،تح:إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت.

الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد،(1992م)،كتاب السير ،تح:أحمد بن سعود السيابي،وزارة التراث القومي والثقافة،سلطنة عمان.

ابن الصغير ،(1986)،أخبار الأئمة الرستميين، تح وتع:محمد نصر و إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت

الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم،(2003)،كتاب الترتيب في الصحيح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم،تص وتع:نور الدين عبد الله بن حميد السالمي،مكتبة مسقط ، سلطنة عمان.

البوسعيدي صالح بن أحمد بن سيف،(2000)، رواية الحديث عند الإباضية (دراسة مقارنة)،دون ناشر.

الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب،تح: إبراهيم طلاي،دون ناشر.